الملك عبدالله يسعى لتقدم «حقيقي» في جزيرة العرب

د. محمد جابر الأنصاري

إذا أخذنا أطراف الجزيرة العربية كسواحل الخليج العربي وسواحل اليمن، حيث الموانئ تستقبل بضائع التجارة ومعها مؤثرات الحضارة، نجد أنها تقدمت اجتماعيا وانعكس ذلك على وضعها السياسي بعد الاستقلال ولكن هذا «التقدم» في الأطراف الجانبية يبقى منقوصاً إلى حد كبير، إذا ظل «المركز والداخل» غير معني به. فعلى السواحل «حركة» الموج، وفي الداخل الصحراوي «ثبات» الصخر، وهذا ينطبق على النظم والعادات والتقاليد السائدة، وتلك هي «دراما» الساحل والصحراء في الخليج والجزيرة العربية!

وعلى سبيل المثال، فلو تصورنا، في تاريخ أوروبا، بقاء فرنسا على حالها في وضع «غير تقدمي»، فإن هولندا الصغيرة وحدها لا يمكن أن تمثل «ظاهرة جديدة» في أوروبا، فما لم يعتمل التقدم في فرنسا كلها، فإن التقدم في البلدان الصغيرة المجاورة لها لا يمكن النظر إليه «كتقدم». وهكذا كان.

وما يحدث في المملكة العربية السعودية من جهود إصلاحية للملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود في الآونة الراهنة، مؤشر إلى توجّه حيوي ومهم للقيادة السعودية، فالتراكم الكمي للتقدم الاجتماعي والسياسي الذي جاهد من أجله والده الملك المؤسس عبدالعزيز وأخوته الملوك على وشك أن يتحول إلى «تغير نوعي» في اللحظة التاريخية الراهنة التي تشهد تحولات «غير مسبوقة» في دول الخليج الأخرى سنعرض لها في نهاية هذا المقال.

إن المملكة العربية السعودية، وأذكر أننا عندما كنا طلاباً في المدرسة، كنا نرى الخرائط التي ندرسها في مادة الجغرافيا تشير الى «إمبراطورية ابن سعود»، هي الثقل الموضوعي الأساسي في جزيرة العرب، وحصول التقدم بها يعني ان جزيرة العرب دخلت التقدم الإنساني، وغدت السعودية، بحق، «مملكة الإنسانية».

إن العربي أو الأجنبي الذي يرى بساطة الإنسان السعودي وتواضع ملبسه، يخطأ خطأ كبيرا إذا تصوره إنسانا غير متعلم أو غير متحضر. فقد أمضى الإنسان السعودي، عقودا، وهو يصيخ السمع إلى أصوات «التقدم» العربي و«التقدم العالمي»، بحيث تشبّع بها، وأصبح مستعداً لممارستها مع تمسكه الشديد بتقاليده وعاداته إلى ان نشأ عليها. وهنا تنشأ «المعضلة» أمام «الموجة التقدمية» التي تشهدها المملكة العربية السعودية... هل عامة الناس في حالة قبول «حقيقي» لكل خطوة إصلاحية تقدمية؟.. تلك هي المسألة (خالد القشطيني، «الشرق الأوسط»، 2-10-2011). وثمة عوامل اجتماعية وسياسية واقتصادية وتعليمية تفتح الطريق لتقدم حقيقي أمسك بحلقته قائد البلاد، الملك عبدالله بن عبدالعزيز، وهو يعمل مع كبار مساعديه ومع الجميع في سبيل إنجازه.

ولقد تصوّره المراقبون سياسياً حاذقاً عندما ظهر في حلبة القيادة، وقام بزياراته غير المسبوقة الى روسيا واليابان. لكنه يثبت اليوم أنه قائد تاريخي، معيداً الى الأذهان دور والده الملك المؤسس عبدالعزيز الذي لم أجد كتاباً أصدق من كتاب المرحوم فهد المارك «من شيم الملك عبدالعزيز» في ثلاثة أجزاء بهرني بصدقه وعفويته حيث يشعر قارئه انه يعاصر الملك ورجاله في تلك الأوقات الصعبة، وكان هذا الكتاب بالفعل هدية ثمينة من سفير خادم الحرمين الشريفين الدكتور عبدالمحسن بن فهد المارك لدى مملكة البحرين الذي أبديت لسعادته رغبتي الملحة في قراءة كتب فهد المارك الأخرى. وكان فهد، رحمه الله قائد الفوج السعودي في جبهة فلسطين بأمر الملك عبدالعزيز وكتب كتابات صريحة وصادقة عن مواقف الزعماء العرب من القضية الفلسطينية جديرة بأن يطلع عليها كل متابع لهذه القضية، وقد ظهر كتابه المذكور في عهد الملك فيصل بن عبدالعزيز الذي وجده توثيقاً صادقاً وأمر بطبعه دون رقابة إعلامية.

كان «توحيد» الملك عبدالعزيز، طيب الله ثراه، لهذه المملكة الشاسعة بقبائلها المتنازعة وولاياتها المتنافسة معجزة لافته في التاريخ العربي الحديث. ولو استعرضنا سجل أعماله بعد التوحيد، وبناء «الهجر» إلى لم الشمل، لاستغرقنا ذلك قائمة طويلة، ولكن ابنه الملك عبدالله يعمل اليوم على تطوير هذه المملكة الشاسعة الى دولة حديثة، فلنتوقف لدى هذا «الحدث» التحولي الكبير...

الأسبوع الماضي احتفلت المملكة العربية السعودية بعيدها الوطني الحادي والثمانين. وهي فترة في عمر التاريخ ليست بالطويلة. لكن إرادة الإنسان الفاعلة يمكن أن تحقق خلالها المستحيل. من العوامل المساعدة على التحوّل الحالي الذي يقوده الملك عبدالله بن عبدالعزيز:

أولاً: إن المجتمع السعودي قد بلغ مرحلة من التطور، في العهود الماضية، وان هذا المجتمع غدا مستعداً للتغيير، وان التراكم الكمي على وشك أن يصبح تحولاً نوعياً. وقد كتب الدكتور عبدالله الغذامي، في أحد أبحاثه القيمة، عن التفاعل الذي شهدته العاصمة السعودية مدينة الرياض في اللهجة الدارجة بين لهجة أهل المنطقة الغربية ولهجة أهل المنطقة الشرقية. واللهجة النجدية الأصلية ذاتها مما أوجد محكية عربية جديدة هي تعبير عن نشوء مجتمع جديد. هذا «المجتمع المختلف» يريد نطاقاً مغايراً لما تعود عليه ويتطلع إلى التجديد والإصلاح والتغيير. ويأتي الملك عبدالله، لحسن الحظ، ليستجيب لهذه التطلعات ويقودها ويسهر على وصولها إلى بر الأمان.

ثانياً: إن قوى الأمن والقوات العسكرية التي تمثل أحدث المؤسسات في البلاد، وأكثرها استيعابا للتقنيات الحديثة قد التحمت عناصرها، وصارت تمثّل قوة واحدة، وهذا من شأنه أن يساعد على تنفيذ التطلعات التقدمية التي يريدها الملك.

ثالثاً: لايمكن أن نغفل «دور الفرد في التاريخ».. عندما يظهر الملك عبدالله قائد البلاد في الفضائيات ويقول: «المرأة هي أمي وأختي وزوجتي... وأنا منها» فإن ذلك يوحي بتحول اجتماعي وسياسي كبير في التكوين العربي الذي كان يعد «المرأة عورة»!

وهذا التحول الذي يبديه الملك عبدالله بن عبدالعزيز هو من خاصية الأزمنة الراهنة... فمنذ وقت قريب شهدت آخر انتخابات أُجريت لبرلمان الكويت، الرائدة في الجوار، فوز أربع نساء دفعة واحدة.... وشهدت مملكة البحرين في انتخاباتها التكميلية لعام 2011 م فوزاً للمرأة، وصار لديها في برلمانها اربع نساء أيضاً. وهذه دفعة كبيرة لمشروع الملك حمد بن عيسى الإصلاحي الذي من أهم بنوده تطوير المسيرة الديمقراطية.

وفي دولة الإمارات العربية المتحدة التي عمل على توحيدها الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، رحمه الله، ويعمل أبناؤه وعلى رأسهم الشيخ خليفة بن زايد وعضده الشيخ محمد بن زايد آل نهيان على تقدمها وتطويرها، فازت في الانتخابات الأخيرة التي أجريت في الدولة امرأة، كان فوزها لافتاً في منطقة الخليج العربي بأسرها.

إن مقولة عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود: «المرأة هي أمي وأختي وزوجتي.. وأنا منها» أصبحت سارية المفعول في كل مكان من جزيرة العرب، ساحلاً وداخلاً، وعلينا ألا نخشى من ذلك فهو يتم ضمن «الضوابط الشرعية»...

مسامرات

الإصغاء إلى الجسد

خالد البسام

تقول الحكمة «إذا كنت شريرا فترفق بنفسك، وإذا كنت طيبا فكن شريرا مع الآخرين». بصراحة لا اعرف من قال هذه الحكمة، غير انني أظن ان كل شيء ممكن في هذا الزمان الأغبر.

الممكن الذي اعرفه اليوم هو ان الرفق بالنفس آخر ما يفكر فيه الناس. فهناك من يعمل حتى «ينهد حيله» ولا يرتاح إلا إذا أدرك ان المنية قد اقتربت، وهناك غيره لا يعمل إلا إذا أحس ان حياته أصبحت مملة جدا، والفرق كبير.

وهناك بشر يحبون جميع الناس ويكرهون أنفسهم، ويضحكون مع اي شخص يقابلونه ولكنهم يكشرون دائما مع روحهم.

ولعل أصعب حياة وأضناها علينا هي تلك التي نحياها أنفسنا، مع نفسك التي تكره نفسك، فإدانة النفس وتحقيرها نوع من جلد الحصان المريض يجعله يركض لفترة ولكنه يسرع من انهيار كرامة المرء كما يقول عالم النفس «رولو ماي» في كتابه المترجم إلى العربية مؤخرا بعنوان «بحث الإنسان عن نفسه».

وحب النفس ليس فقط مسألة ضرورية ولكنها أيضا تعد أساسا لكي نحب الآخرين، فالإنسان الذي يشعر بعدم قيمته داخليا هو الذي يحتاج إلى تدعيم أنانيته وتباهيه، والشخص الذي يحس حقا بقيمته يمتلك الأساس للتصرف الكريم نحو الآخرين، وان من لا يحب نفسه بطريقة سليمة فلن يمكنه حب صديقه على الإطلاق.

ويدعو العالم النفساني إلى مسألة الإصغاء إلى الجسد. فمعظم الناس هذه الأيام يسيرون وفقا لمبدأ «دع الأيدي أو الأرجل تحس بما تشاء فعلي الذهاب إلى العمل». ولو أصغى احد إلى جسده لعرف متى يعمل ومتى يرتاح.

ويفصل الناس الجسد عن النفس حين يستخدمونه كوسيلة للعمل، غير إنهم بالمقابل يفصلونه عن النفس حين يسعون وراء اللذة فيعاملون الجسد هنا كعربة تحمل الأحاسيس، وعبرها يمكن للإنسان ان يحصل على بعض المتع البسيطة بالأكل أو المشاعر الجنسية وغيرها.

ويرى العالم في كتابه ان عمل الإنسان المتواصل وعدم الراحة والانشغال طوال الوقت هو وسيلة للهرب من نفسك. فالقدرة على الكسل المبدع هو أمر يصعب على الكثير من البشر. كما ان إدراك الذات يجلب لنا مرة أخرى الأنواع الأكثر متعة من الحيوية مثل فن التأمل والتعبد.

وإذا كانت الحياة تستحق الكثير من اللهث والتعب والعرق فإنها أيضا تريد بعض الكسل اللذيذ!

أمريكا.. التي عرفوها ولم تعرفهم

خليل حيدر

في الحادي عشر من سبتمبر 2001، يوم «غزوة مانهاتن»، الذي لايزال في ذكراه العاشرة موضع حفاوة تنظيم القاعدة واعداد لا تحصى من المتشددين الاسلاميين في كل مكان، دفعت الولايات المتحدة ثمنا باهظا لأشياء كثيرة، من بينها سذاجتها في التعامل مع جماعات التشدد الديني عموما، والتطرف الاسلامي على وجه التحديد.

وكان «حسن النوايا» الامريكية والثقة الزائدة، واستسهال الامور، وليد اشياء كثيرة من بينها الثقافة الامريكية المنفتحة على نفسها، وقيمها الدينية وايمانها بالتعددية والتسامح والتنوع وصلاح جوهر الانسان! ومن بينها كذلك غياب المتابعة الدقيقة للفكر الاسلامي المتطرف، وطبيعة الافكار الارهابية التي تجول في اذهان قادته، ونوعية الحقد العميق المتغلغل في ادبيات وكراريس الجماعات التكفيرية الجهادية، التي لا تتردد عن استخدام أي مخطط وأي سلاح وأي مادة محظورة وأي جريمة، مادام العدو من «اليهود والنصارى والكفار والامريكان والغربيين والملحدين»، وغير ذلك من الصفات والنعوت! وكان «الفلتان» والتساهل الجمركي والسياسي ملحوظا، من السفارة وثقتها الانسانية بكل طلبات الفيزا، الى المطارات، الى الجامعات الامريكية، التي لم تكن تتابع تحصيل الطلاب العرب والمسلمين أو حتى حرصهم على الحضور. يقول صديق: «اذكر عندما كنت في الولايات المتحدة خلال الثمانينيات ان عدة طلاب حضروا من بعض الدول العربية «للدراسة» في بعض الجامعات شرقي الولايات المتحدة، وربما لم يحرص أي منهم على الدوام والدراسة، ونجح بعضهم في تكوين نفسه اقتصاديا فيما عمل آخرون في وظائف مختلفة، وتوفي احدهم في حادث سيارة.. وهكذا».

كان الاسلاميون خلال الثمانينيات يملؤون المدن الامريكية وكانت المخيمات والمهرجانات وزيارات «العلماء» و«الدعاة» من الظواهر المتكررة. يقول الشيخ د. يوسف القرضاوي «لقد راعني ان وجدت بعض الشباب المخلصين في بعض الجماعات الاسلامية في امريكا، قد اثاروا جدلا عنيفا في احد المراكز الاسلامية، لأن المسلمين يجلسون على الكراسي في محاضرات السبت والاحد، ولا يجلسون على الحصير والسجاد كما يجلس اهل المساجد، ولأنهم لا يتجهون في جلوسهم الى القبلة وانهم يلبسون البنطلونات لا الجلابيب البيض، ويأكلون على المناضد لا على الارض، وقد غاظني هذا النوع من التفكير والسلوك في قلب امريكا الشمالية».

كاريكاتير حسام سارة

www.husamsara.com